

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَثْرُ الْكَلِمَةِ فِي التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ

الحمد لله الذي خلق الإنسان اجتماعياً بطبيعته، مدنياً بفطرته، وشرع له من القيم والمبادئ ما يكفل له حسن التعامل وجميل التواصل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاغ الشخصية الإسلامية الحقة، والأخلاق الاجتماعية الراقية، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا عِبَادَ اللَّهِ:

اتقوا الله حق النقوى، وراقبوه في السر والنحو، فإن نقوى الله صمام الأمان من كل فتنه، والحرز المنيع من كل هلاكه، يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوُا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتَكُمْ كُلَّمَا من كل رحمة، وبجعل لكم نوراً تمثون به، وينظر لكم والله عفور رحيم وَأَحْمَدُوا رَبَّكُمْ عَلَى مَا هِيَأَهُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ^(١). وأحمدوا ربكم على ما هيأه لكم من سبل العيش، وما يسره من وسائل التعامل والتقارب، تقنيات تتجدد في كل آن، والآيات تتتطور عبر الأزمان، يواكب بها الإنسان الحياة في كل عصر، ويقضى بها متطلباتها بكل يسر وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ^(٢)، فنعمات التقنيات الحديثة في زماننا، دخلت كل قرية ودار، وصارت في متناول الجميع، بل أصبحت جزءاً من حياة الإنسان المعاصر، تحتل مساحة من تفكيره واهتماماته، وتشغل الكثير من ساعاتيه وأوقاته، بل تسلمه كثيراً في بناء شخصيته، وتتدخل بعمق في صياغة أفكاره وتوجهاته، فلم يعد بالإمكان منع طوفانها، وليس من الحكمة تجاهل تأثيرها، وقد صارت موطننا خصباً لبث الأفكار، وميداناً رحباً للنقاش وال الحوار، يغتنمه كل توجه بما يخدم اتجاهه، ويستغله كل داعية بما يحقق أهدافه، من هنا كان حرياً بالعقل المبصر أن يقف

(١) سورة الحديد/ ٢٨

(٢) سورة النحل/ ١٨

أثر الكلمة في التواصل الاجتماعي

وَقَةٌ حَازَمَةٌ، وَيَنْظُرُ لِلأَمْرِ بِنَظْرَةٍ جَادَةٍ، فَيُوقِنُ أَنَّهُ مَسْؤُلٌ عَنْ كُلِّ حَوَاسِهِ، قَالَ تَعَالَى: «وَلَا يَنْقُضُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا»^(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ وَسَائِلَ التَّوَاصُلِ الاجتِمَاعِيِّ مَرْتَعٌ لِلسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ، وَمَصْدَرٌ لِلْقَوْلِ بِلُغَةِ الْأَقْلَامِ، وَأَنَّ كُلَّ تَحْرِكَاتِهِ فِيهَا مَسْؤُلَةٌ، وَكُلُّ مُشَارِكَاتِهِ بِهَا لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُؤَطَّرَةً وَمَحْكُومَةً، فَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِحَاطِبِ لَيْلٍ، يَهِيمُ بِكُلِّ وَادٍ، وَيَغْشَى كُلَّ نَادٍ، أَوْ إِمَاعَةٌ يَجْرِي خَلْفَ كُلِّ نَاعِقٍ، وَيَغْزِرُهُ كُلُّ شَعَارٍ، إِنَّمَا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ، وَيَنْظُرُ فِي مَوْضِعِ قَدْمِهِ، وَيَتَحَكَّمُ فِي كُلِّ مَا يَأْتِيهِ وَيَذَرُهُ، لَدِيهِ مِنَ الْهُوَيَّةِ وَالْاسْتِقْلَالِيَّةِ مَا يَجْعَلُهُ يَقْصِدُ مَنَابِعَ الْخَيْرِ، وَيَنْأَى عَنْ مَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالضُّرِّ، إِذَا فَتَحَ حِسَابًا جَعَلَهُ مِنْبَرًا لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ، وَمَصْدَرًا لِلْحَثَّ عَلَى الْمَعْرُوفِ وَالْبَرِّ، لَا يُزَاحِمُ أَهْلَ الْاِخْتِصَاصِ فِي اِخْتِصَاصِهِمْ، وَلَا يَخُوضُ فِي فَنٍ لَا يُحْسِنُهُ، وَلَا يَتَحَدَّثُ إِلَّا بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَبْلَ أَنْ تَخُطَّ يَمِينَهُ، وَيُشَارِرُ أَهْلَ الْحِكْمَةِ قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ بَنَانِهُ، نَاظِرًا فِي الْعَوَاقِبِ وَالْمَالَاتِ، مُوازِنًا بَيْنَ الْإِيجَابِيَّاتِ وَالسَّلَبِيَّاتِ، وَإِذَا حَاوَرَ غَيْرَهُ حَاوَرَ بِاحْتِرَامٍ وَأَدَبٍ، فَلَمْ يَنْسِ أَخْلَاقَهُ، وَلَمْ يُلْبِسْ غَيْرَ أَثْوَابِهِ، بَلْ مَبَادِئُهُ مَعْهُ أَيْنَمَا حَلَّ، وَهُوَيَّتُهُ وَقِيمَتُهُ حَيْثُمَا نَزَلَ، مُتَرَفِّعًا عَنِ الْجَهَلَةِ وَذَوِي التَّفَاهَاتِ، وَنَائِيًّا بِنَفْسِهِ عَنْ أَهْلِ الْفِتْنَةِ وَالشُّبُهَاتِ، وَإِذَا أَنْشَأَ مَجْمُوعَةً حِوَارِيَّةً أَقَامَ عَلَى الْأَلْفَةِ بُنْيَانَهَا، وَسَارَ بِالْحِكْمَةِ فِي إِدَارَتِهَا، وَجَعَلَهَا وَسِيلَةً لِلنَّقَارُبِ لَا التَّبَاعُدِ وَالتَّنَافِرِ، وَاغْتَنَمَهَا فِي بَثِّ رُوحِ التَّسَامُحِ وَالتَّعَارُفِ، فَكَانَتْ مِظَلَّتُهَا قَوْلُ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»^(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ وَسَائِلَ التَّوَاصُلِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا إِنَّمَا تَقْوُمُ عَلَى الْكَلِمَةِ طَيِّبَاهَا وَخَبِيثَاهَا، فَالْقَلْمَنُ أَحَدُ اللِّسَانِيْنِ، فَأَنْتِقاءُ الْكَلِمَاتِ وَصَوْنُ الْعِبَارَاتِ أَسَاسُ رَصِينٍ فِي فِقْهِ التَّوَاصُلِ الاجتِمَاعِيِّ،

(١) سورة الإسراء / ٣٦.

(٢) سورة الحجرات / ١٠.

فَلَيْسَ بِخَافٍ عَلَيْكُمْ أَنَّ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ تَأْثِيرُهَا الْجَمِيلُ فِي النُّفُوسِ، وَبَصْمَتَهَا الظَّاهِرَةُ عَلَى الأَعْمَالِ وَالسُّلُوكِ، جُذُورُهَا فِي الْأَعْمَاقِ ضَارِبَةُ، وَثِمَارُهَا فِي عَلَاقَاتِ النَّاسِ جَنِيَّةُ وَبَانِيَةُ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا بِالنَّخْلَةِ الثَّابِتَةِ: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّكَمَاءِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^(١)؛ وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ - مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ - لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ))، فَكَمْ رَجَعَ إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ بِسَبَبِ مَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ، وَكَمْ اهْتَدَى إِنْسَانٌ بِحِكْمَةٍ وَاعِيَةٍ، فَهَلَا جَعَلْنَا مَوَاقِعَ التَّوَاصِلِ وَمَجْمُوعَاتِ الْحَوَارِ مِنْبَرًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالْتَّيِّنَى هِيَ أَحْسَنُ»^(٢).

فَانْتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَوَظِفُوا مَوَاقِعَ التَّوَاصِلِ فِي الْخَيْرِ، وَاغْتَنِمُوهَا فِي طُرُقِ الْبَرِّ، حَتَّى تَكُونَ أَدَاءَ تَعْمِيرِ وَبَنَاءِ، وَإِلَّا صَارَتْ مِعْوَلَ هَذِمٍ وَرَجَعَتْ بِالْمُجَمَّعَاتِ إِلَى الْوَرَاءِ. أَقُولُ قَوْلِيَ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعُقْلَ قَائِدَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَالْكَلِمَةُ تُرْجُمَانُ الْفِكْرِ وَمَا يَخْتَلِجُ فِي الْوِجْدَانِ، وَنَشَهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَمَلَ الْإِنْسَانُ مَسْؤُلِيَّةَ مَا يَنْطَقُهُ الْلِّسَانُ وَمَا يَخْطُطُ الْبَنَانُ، وَنَشَهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، حَذَرَ مِنَ الْإِسْتِهَانَةِ بِخَطَرِ الْكَلِمَةِ وَنَشَرِهَا، وَعَلَى إِلَهِ وَصَاحِبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

كَمَا أَنَّ لِلْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ جَمَالُهَا وَطَيِّبُ أَثْرِهَا، فَإِنَّ لِلْكَلِمَةِ الْخَبِيَّةِ وَقْعَهَا وَعَظِيمُ ضَرَرِهَا؛

(١) سورة إبراهيم / ٢٤ - ٢٥.

(٢) سورة النحل / ١٢٥.

وقد مثل لها القرآن بالشجرة الخبيثة في عدم قرارها وسوء ثمارها: «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار»^(١)، كما حذرت السنة المطهرة من خطرها وعظيم جرمها، ففي الحديث عن النبي ﷺ: ((وإن العبد ليتكلّم بالكلمة - من سخط الله - لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم))، فهي وبال على قائلها، وخطر داهم على المجتمع متى ما استهين بها واستهتر بيتها ونشرها؛ ومن هنا نجد ذوي النفوس الضعيفة، يستغلون وسائل التواصل الاجتماعي لبث سمومهم، ونشر أرجيفهم وسبّهاتهم، مركزين على الإشعارات المغرضة؛ لعلّهم بتاثيرها، وعظيم أثرها فيما يحقق مصالحهم وما ربّهم، ويغمدون إلى تشويه سمعة المصلحين والمجددين؛ لفشلهم في الوصول إلى أمجاد أولئك، والمؤمن العاقل كيس فطن، يقظ لأمثال هؤلاء، فلا يسمح لهم بتلبيس دينه، إذ هو حارس لناصع عقيدته وقيمه، أمين على مكتسبات بلده، يغار على حرمات وطنه، وهو ينظر إلى العالم من حوله يموج بالحروب والتطاحن، ويعج بالطائفية والتلاسن، فينأى بنفسه عن الانحراف خلف دعایات المعرضين مهما زينوها، ولا يخدع بشعارات المفسدين مهما لمعوا، ويصون أولاده وذويه عن كل من يحاول استغلالهم بالحيل الإلكترونية، أو يجرّهم إلى ما يعود عليهم وعلى وطنهم بما لا يحمد عقباه. هذا وإن من أعظم المبادئ التي ربانا عليها ديننا الحنيف ضرورة التثبت من الأخبار، والرجوع إلى المصادر الموثقة؛ حتى لا يجد أي معرض آذانا تصغي لآرجيفه، أو قلوبًا تتعاطف مع سبّهاته، فلا نظم في أحكامنا أبداً، ولا نعرض أوطاننا وقيمنا لكيده السقّهاء، فنندم على التسرّع: «يتأيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بما فتبيّنوا أن تُصيّبوا قوماً بجهلٍ فتصيّبوا على ما فعلتم نَدِمِين»^(٢).

فأنقذوا الله - عباد الله -، وتتبّعوا وتبّعوا فائكم على شرارة للدين والأوطان، وقدوة للأجيال، وأمزجوا دعوة الخير بالحكمة، والإقدام بالحدّ، تتّلوا مرضاه رب البشر. هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقاد الغرّ المحجّبين، فقد أمركم الله تعالى بالصّلاة

(١) سورة إبراهيم / ٢٦.

(٢) سورة الحجرات / ٦.

وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَكِتِكَ هُوَ الْمُصْلِحُونَ عَلَى الَّتِي يَتَأْبِي
إِلَّا الَّذِينَ أَمَنُوا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا
إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ
عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ
خُلُقَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِيْنَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا
مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعْزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُوفُّهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلْمَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرْ شَوْكَةَ
الظَّالِمِيْنَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِيْنَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ
إِلَّا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَانَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَانِ
الصَّالِحِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدْهُ بِهِ الْحَقُّ يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ
نِعْمَتِكَ، وَأَيَّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْوُعَنَا
وَكُلَّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ
مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظِلُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.